﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ١٦٩﴾ [النساء: 168 - 169]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبة بين حال أهل الكفر والضّلالة، وبين مصيرهم المحتوم في جهنّم

لمّا كان المعنى في الآية السَّابقة عن الَّذين كفروا، وصدُّوا، وحكم عليهم القرآن بالضَّلال البعيد، وكان من المعلوم أنَّ من ضلَّ قد يعود إلى الهدى، ويستغفر الله، فيغفر الله له؛ بيَّن تعالى هنا في هذه الآية: أنَّ الذين كفروا، وظلموا، لم يكن الله ليغفر لهم؛ لأنَّهم ضيَّعوا ما آتاهم الله من نور الآيات وباهر المعجزات، فاستحكم الكفر فيهم، فكان جزاؤهم الخلود في جهنَّم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿طَرِيقَ﴾: الطَّريقُ: السَّبيل الَّذي يُطْرَقُ بالأَرْجُلِ، أي: يُضرب، قال تعالى: ﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا﴾ [طه: 77]، وعنه استعير كلُّ مسلك يسلكه الإنسان في فِعْلٍ، محمودًا كان أو مذمومًا[1]، والطَّارق: السالك للطَّريق، لكن خُصَّ في التَّعارف بالآتي ليلًا؛ فقيل: طرق أهله طروقًا، وعبَّر عن النَّجم بالطَّارق؛ لاختصاص ظهوره باللَّيل[2].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

تقرير مصير من كفروا وصدّوا عن السّبيل، بأنّه لا غفران لهم ولا هداية

بيَّن الله تعالى في هذه الآية أنَّ الَّذ ين كفروا بالله وكتابه ورسوله، وظَلموا أنفسَهم بعدم إيمانهم، وظلموا غيرَهم بالصّدِّ عن سبيل الله، وارتكبوا المآثم، وانتهكوا المحارم؛ لم يكُن الله؛ ليغفرَ لهم

(1) الرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحُفّاظ: (طرق).
(2) الرّاغب، المفردات: (طرق).

ذُنوبهم إن ماتوا من غير توبة، ولم يكن ليُوَفِّقَهم لسلوكِ الطَّريق القويم الَّذي يوصل لجنَّته ونعيمه، لكنَّه سيوصلهم إلى الجزاء على أعمالهم، وهو طريق جهنَّم، طريق الكافرين الظَّالمين؛ ليخلدوا فيها خلودًا أبديًّا، وكان هذا الجزاء هيِّنًا سهلًا على اللّه تعالى، فهو قادر على كلِّ شيء.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة الفصل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ﴾:

من كفر بالله هلك، ومن ضلّ عن سبيله أفك

الهداية للخَير يستحقُّها أهل الإيمان والتَّوبة دون غيرهم من الكفَّار والظَّالمين، وفصلت هذه الآية عمَّا قبلها؛ لأنَّها بيانٌ للجملة السَّابقة: ﴿قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾؛ لأنَّ السَّامع يترقَّب معرفة جزاء هذا الضَّلال، فبيَّنته هذه الجملة[1]؛ فكانت هذه الآية لذكر وعيدهم.

دلالة الجمع بين الكفر والظّلم في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ﴾:

الكفر والظّلم كلاهما مفسدة في الدّنيا، وهلاك في الآخرة

جمعت الآية بينهما؛ لبيان أنَّ اليهود لم يقفوا عند حيِّز الكفر في عدم الدُّخول في الإسلام، وعدم الإيمان بالنَّبيِّ ﷺ بل تعدُّوا ذلك إلى وضع البشارات المكتوبة عندهم في غير موطنها ووظَّفوها في غير وظيفتها؛ فأنكروا نبوَّته ﷺ وكتموا صفاته المذكورة في التَّوراة والإنجيل؛ لذلك كان التَّعبير بالظُّلم الذي هو وضع الشَّيء في غير موضعه، وهم قد وضعوا الآيات والبشارات في غير موضعها.

دلالة تأخير الظُّلم عن الكفر، في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ﴾:

الظّلم مرتعه وخيم، ترجع عقباه إلى النّدم

دلَّ تأخير الفعل ﴿وَظَلَمُواْ﴾ عن الفعل ﴿كَفَرُواْ﴾، ولم يتقدَّم عليه بأن يقال: ظلموا وكفروا؛ لتعدُّد معاني الظُّلم؛ فقد يراد به ظلم النَّفس، وظلم النَّبيِّ ﷺ والمسلمين، وعلى هذا يكون المراد بالذين كفروا: (أهل الكتاب)، وقد يراد به: الشِّركُ - كما هو شائعٌ في

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/47.

استعمال القرآن - كقوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: 13]؛ فيكون من عطف الأخصِّ على الأعمِّ في الأنواع[1].

دلالة الاتِّفاق والاختلاف في أوصاف الكافرين في الآيتين:

كلُّ كفر وصدود عن السّبيل، فهو ظلم للنّفس وللغير

النَّاظر في الأوصاف في الآية الأولى: يجد الكفرَ والصَّدَّ عن طريق الحقِّ، والأوصاف في الآية الثَّانية: هي الكفر والظُّلم، فاشتركتا في الكفر، واختلفتا في الصّدِّ والظُّلم، وهما متلاقيان؛ لأنَّ الإعراضَ عن الحقِّ ظلمٌ للنَّفس، ومنعُ الآخر من الحقِّ ظلمٌ له، والأذى والفتنة في الدِّين ظلم لا ريب فيه.

بلاغة حذف المفعول في الفعلين: ﴿كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ﴾:

الإيجازُ للعلم بالمحذوف، وقصد العموم والتَّكثير

كَفَرُوا بالله، وبما أنزَل، وجحدوا بنبوَّته ﷺ، والكتب والرُّسل، وحذفت هذه الصِّلة اختصارًا للعلم بها، وظَلَمُوا أنفسهم أو غيرهم بالكفر وارتكاب المعاصي والآثام والمحرَّمات، وبكتمان نبوّته ﷺ، وبصدِّ النَّاس عن دين الإسلام وإلقاءِ الشُّبهات في قلوبهم، وظلموا أنفسهم بالخروج عن طاعة الله ورسوله، وغير ذلك من جرائمهم الَّتي لا تُحصى[2]، وكذلك: لم يكن الله ليغفر لهم ذنوبهم؛ إذا ماتوا على الكفر والظُّلم، ولم يتوبوا إلى الله، ويكفُّوا عن ظلمهم.

فائدة وضع الظَّاهر موضع المضمر، في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾:

التَّنديد بأفعال الّذين كفروا، وإقامة الدَّليل على الحكم عليهم

وضع الظَّاهر الموصول وصِلته - في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ دون أن يذكر ضميرهم، هو تنديدٌ بأفعالهم، وتهديد لهم، وذكر الدَّليل على الحكم بذكر الصِّلة[3].

دلالة التَّعبير بـ﴿لَمۡ﴾ في قوله: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ﴾:

دلَّت ﴿لَمۡ﴾ على استحالة تعلُّق المغفرة بالكافر الَّذي مات على

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/47.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/47.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/47.

من مات على الكفر، فلا غفران له، ولا عفو عنه

كفره، ويكون المعنى: لم يكن الله ليغفر لهم؛ لأنَّهم ماتوا على الكفر والظُّلم، ولم يتوبوا إلى الله، ويكفُّوا عن ظلمهم، والمقصود (لن يغفر الله لهم ما دامواْ على كفرهم، ولن يهديهم طريق النّجاة، وما كان من شأنه - سبحانه - أن يغفر لأمثالهم وهم في ضلالهم)[1].

دلالة صيغة الجحود في قوله: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ﴾:

إناطة الحكم بالوصف لا بالشّخص

دلَّت هذه الصّيغة في قوله تعالى: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ﴾، على تحقيق النَّفي، وقد نفت عن الله أن يغفر لهم؛ تحذيرًا من البقاء على الكفر والظُّلم؛ لأنَّ هذا الحكم نيط بالوصف، ولم ينط بأشخاص معروفين، فإن هم أقلعواْ عن الكفر والظُّلم لم يكونواْ من الَّذين كفرواْ وظلمواْ[2].

دلالة التَّعبير بالفعل ﴿لِيَغۡفِرَ﴾ لابلفظ (يغفر):

لا عذاب إلّا بكفر، ولا غفران إلّا بتوبة

عبَّر بالفعل ﴿لِيَغۡفِرَ﴾ المقرون باللّام؛ لتوكيد النَّفي، وتدعى هذه اللَّام عند النُّحاة: لامَ الجُحودِ لسبقها بكون منفيٍّ، وَأَنَّ الإتْيانَ بِها أَبْلَغُ مِنَ الإتْيانِ بِالفِعْلِ المُجَرَّدِ عَنْها، فجاءت العبارة أقوى من الإخبار المجرَّد، أنَّه لا يغفر[3].

دلالة حذف مفعول ﴿لِيَغۡفِرَ﴾:

تعميم عدم الغفران، على أصحاب الكفران

حذف مفعول الفعل ﴿لِيَغۡفِرَ﴾؛ لإفادة العموم، حيث تعلَّق فعل المغفرة بوصفي الكفر والظُّلم، والمراد نفي المغفرة للكافرين الَّذين ماتوا على الكفر، وللظَّالمين الذين ظلموا بكل صور الظُّلم؛ إذا لم يتوبوا منها.

دلالة نفي المغفرة دون نفي العفو؛ في قوله: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ﴾:

اختار نفي المغفرة دون نفي العفو؛ لأنَّ المغفرة تتعدَّد معانيها، فتدلُّ

(1) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 141..
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/47.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/138، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/141.

على السَّتر وعلى التَّسامح وعلى عدم المؤاخذة على الذَّنب، وكلُّ معنًى من هذه المعاني مناسبٌ لتفسير الظُّلم على اختلاف صوره من المعاصي والشِّرك، وعلى هذا، لا يؤدِّي لفظ العفو المعنى المقصود في السِّياق من العقاب الَّذي أعدَّه الله للكافرين وللظَّالمين؛ فلن يسترهم لا في الدُّنيا ولا في الآخرة، ولن يترك مؤاخذتهم على ذنوبهم.

مع الكفر لا وجود للمغفرة، ولا مجال للمعذرة

دلالة التَّعبير بالفعل المضارع ﴿يَكُنِ﴾ في الآية:

التَّعبير بالفعل المضارع ﴿يَكُنِ﴾، في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾، مع أنَّ المعنى يفهم من غيره، لكنَّه وضع؛ ليفيد نفي المغفرة، ذلك أن (لم) إذا دخلت على المضارع حوَّلته إلى الماضي الَّذي يدلّ على تحقُّق الفعل، والمراد هنا: ثبوت عدم المغفرة لهم ورسوخها، مع العلم أنَّ الدَّلالة على الزَّمن في الفعل ﴿يَكُنِ﴾ غير مرادة؛ لأنَّه لا زمن مع الله.

لا دلالة على الزَّمن في الفعل (كان) لأنَّه لا زمن مع الله

دلالة الإضمار في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾:

دل الإضمار في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ﴾ على التَّهوين من شأنهم، وأنَّهم لا وزن لهم عند الله تعالى، مع كلِّ ما يظهرونه في الدُّنيا من الزَّعامة والرِّياسة من خلال ظلمهم وصدِّهم عن سبيل الله، قال تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: 105].

من جاهر بالكفران، لاقى من الله الهوان

إيثار التَّعبير بـ (لا) دون (لم) في قوله: ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾:

آثر التّعبير بـ (لا) في قوله: ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾﴾؛ لأنَّها نافية مؤكِّدة لحرف (لم) الّذي دلَّ على نفي المغفرة لهم وحدها، ولنفي هدايتهم وحدها، فكيف إذا اجتمعا؟ فيكون نفيهما معًا أولى وآكد - لا سيَّما - وأنَّ الطَّريق عادة ما يكون صعبًا إلّا إذا اقترن بوصف أو إضافة، كالمستقيم مثلًا، والتَّنوين: للتَّنكير، تعني: أيَّ طريق يوصل إلى الهدى.

من اهتدى هداه الله، ومن ضلّ أضلّه الله

بلاغة الاستعارة التّصريحيّة، في قوله تعالى: ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾:

دلالة الكناية، في التّعبير عن الدّين بالطّريق

في قوله: ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ استعارة تصريحيَّة، حيث شبّه المنهج والمسلك بالطَّريق، والمعنى: "لن يغفر الله لهم ما داموا على الكفر، ولن يهديهم طريق النّجاة"[1]، وقد عبَّر بذكر الطَّريق عن الدِّين من باب الكناية، ومعنى الكلام: لم يكن الله ليوفِّقهم للإسلام، ولكنَّه يخذلهم عنه إلى طريق جهنَّم، وهو الكفر[2].

دلالة التَّنكير في قوله: ﴿طَرِيقًا﴾:

سرُّ الجمع بين نفي المغفرة ونفي الهداية

التَّنكير يفيد الشُّيوع والعموم، والمراد: نفي الهداية لأيِّ طريق خير، بل يُهْدَونَ إلى طريق جهنَّم، وذلك لعدم استعدادهم للهداية إلى الحقِّ والأعمال الصَّالحة[3]، وقد جُمع بين نفي المغفرة ونفي الهداية في حقِّ الكافرين الّذين ظلموا؛ للدَّلالة على أنَّهم متعنِّتون، مكابرون، يضعون الشَّيء في غير موضعه[4].

بلاغة القصر في الآية في قوله تعالى: ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾:

إفادة جملة واحدة معنى جملتين

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾، إِلَّا: أداة استثناء جاءت بعد نفي، فأفادت الحصر والقصر، أي: سيهديهم يوم القيامة طريق جهنَّم، ولن يهديهم طريقًا سواها.

دلالة الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾:

لا طريق لمن عاند وأثم، إلّا طريق جهنّم

دلَّ الاستثناء على تأكيد الشَّيء بما يشبه ضدَّه؛ لأنَّ الكلام مسوقٌ للإنذار، وفيه رائحة إطماع؛ لأنَّه إذا سمع المستثنى؛ تبيَّن أنَّه من قبيل الإعذار، والمعنى: أنَّ الله تعالى لا يوصلهم إلى طريق إلّا طريق جهنَّم.

(1) إبراهيم القطان: تيسير التّفسير، ص: 367.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 6/32.
(3) أبو السّعود، إرشاد العَقْل السّليم: 2/258.
(4) الطيبي، فتوح الغيب: 5/236.

دلالة اختيار الفعل المنفي ﴿وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا﴾:

التَّعبير عن الهداية من قبيل المشاكلة اللَّفظيَّة

اختار التَّعبير بالفعل المنفيِّ ﴿وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ﴾؛ لأنَّ الهداية لها معانٍ عدَّة، ومنها الدَّلالة، وهو المناسب مع الطَّريق، ويكون اختياره من باب التَّهكُّم والسُّخرية؛ لأنَّ الدَّلالة على جهنَّم ليس من باب الهداية المرادة، بل هو التّردِّي في الهاوية، وكان التَّعبير عن الهداية من قبيل المشاكلة اللَّفظيَّة؛ لأنَّ الهداية في الأصل لا تكون إلّا إلى طريق الخير والسَّلامة، فاستعمالها مع طريق جهنَّم إنَّما هو من باب التَّهكُّم بهم، والاستهزاءِ بسوءِ اختيارهم الَّذي أوصلهم إلى مثل هذا المصير، وهذا التّهكُّم مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١﴾ [آل عمران: 21][1].

دلالة ذكر لفظ ﴿أَبَدٗا﴾ في قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾:

حكم الله تعالى بالخلود الأبديِّ للكافرين في النّار

دلَّ ذكر ﴿أَبَدٗا﴾ على التَّفريق بين من يمكثون للعذاب، وهم العصاة، وبين من يخلدون فيها، وهم الكفرة؛ لأنَّ الخلود: معناه المكث الطَّويل، ووصف سبحانه العذاب بأنَّه عذاب خالد ممتدٌّ، فهم خالدون في العذاب، وأكَّد الخلود بالأبديَّة، وهذا يدلُّ على بقاء العذاب، وأصل المخلَّد: الّذي يبقى مدَّة طويلة، والأبد: مدَّة الزَّمان الممتدِّ الَّذي لا يتجزَّأ، وأهل النَّار تبقى أجسامهم في شقاء وعذاب أليم، لا تبليها النَّار، ولا يفنيها العذاب، ولا يذهب بالحساسيَّة فيها توالي الاكتواء: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ٥٦﴾ [النّساء: 56]، وكلُّ ذلك في الذين ماتوا على كفرهم، ولم يتوبوا من شركهم.

دلالة التَّعبير باسم الإشارة في قوله: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾:

عبَّر باسم الإشارة للدَّلالة على استحضار الصُّورة الّتي يكون

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 4/1973، وجماعة من العلماء مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 2/984.

قـــدرة اللـه لا يعجزها شيء، ولا يحجب عنها مستور

عليها الكافرون في جهنَّم، وأيضًا لتجمع بين نفي المغفرة ونفي الهداية من خلال الإشارة،

سرُّ اختيار وصف (جهنَّم) دون غيرها من أوصاف النَّار:

بئس العقيدة الكفر، وبئس المصير النّار

اختار هذا الوصف دون غيره من الأوصاف كالسَّعير والجحيم؛ لأنَّه المناسب لهؤلاء الكفرة الَّذين صدُّوا وظلموا، وكانوا يتجهَّمون في وجهه ﷺ، وفي وجه أصحابه؛ فناسب أن يعاقبوا بمثل فعلهم من تجهُّم؛ جهنَّم لهم جزاءً وفاقًا.

دلالة ختام الآية بقوله: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾:

تـأبيـد الخلـود يسيرٌ على الله

وجاء ختام الآية بهذه الجملة؛ ليبيِّن لهم أنَّ الله تعالى غالب على كلِّ شيء، وأنّ عذابهم أمر يسير عليه، لإبطال زعمهم في أنَّهم لا يقدر عليهم أحد[1]، كما يتصوَّر الَّذين لا يعرفون الله حقَّ معرفته، والَّذين يرون في رؤسائهم وقادتهم أنَّهم في مقامٍ عزيزٍ لا ينال؛ لذلك كان إدخالهم في جهنَّم أمرًا سهلًا هيِّنًا على الله، فهو لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السّماء.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

السَّبيل والطَّريق:

لقد قال الله تعالى في ختام الآية السَّابقة: ﴿وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلًا ١٣٧﴾، وقال هنا: ﴿وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ١٦٨﴾، فاختلف الجزاء المُعدُّ لكلٍّ منهم، حيث نفى هدايتهم إلى السَّبيل في الأولى، وفي الثَّانية نفى هدايتهم إلى الطَّريق، ولكي يتَّضح سرَّ الاختلاف لابدَّ أوَّلًا من ذكر الفرق بين السَّبيل والطَّريق. فالسَّبيلُ: الطَّريق الممتدُّ الَّذي فيه سهولة ووضوح، وأصل دلالته على الامتداد، وهو يذكّر ويؤنَّث، وجمعه: سُبُلٌ، ويستعمل السَّبيلُ لكلِّ ما يتوصَّل به إلى شيء، خيرًا

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 4/1974.

كان أو شرًّا، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النّحل: 125]، ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [يوسف: 108]، وكلاهما واحد، لكن أضاف الأوّل إلى المبلَّغ، والثّاني إلى السّالك بهم، وقوله: ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة: 16] أي: طرق السّلامة المؤمِّنة من العقوبة، وقيل: طرق الجنّة: إمّا طرُقها حقيقةً، وإمّا الأسباب الّتي يتوصّلون بها إلى الجنّة من الأعمال الصّالحة[1].والطّريقُ: السّبيل الّذي يُطْرَقُ بالأَرْجُلِ، أي: يُضرب، قال تعالى: ﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا﴾ [طه: 77]، وعنه استعير كلُّ مسلك يسلكه الإنسان في فِعْلٍ، محمودًا كان أو مذمومًا[2].

والفرق بينهما: أنَّ السّبيل والطّريق يدلّان على كلِّ مسلك يسلكه الإنسان محمودًا كان أو مذمومًا، أمّا السّبيل؛ فأغلب استعماله في الخير، ولا يكاد اسم الطّريق يراد به الخير إلّا مقترنًا بوصف أو إضافة تخلِّصه لذلك، كقوله تعالى: ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٠﴾ [الأحقاف: 30]، والطّريق لا يقتضي السُّهولة، وبخلاف السّبيل؛ فإنَّه يتميّز بالوضوح والسُّهولة واليسر[3]، وبناءً على ذلك: يقال: بأنَّ الآية الأولى خُتمت بنفي هداية السَّبيل لهؤلاء المنافقين، للدَّلالة على أنَّ الله نفى عنهم الهداية لكلِّ مسالك الخير؛ لأنَّ اسم السَّبيل أغلب وقوعه في الخير وسبل السَّلامة، بخلاف الطَّريق؛ فلا يراد به ذلك إلَّا إذا كان مقرونًا بوصفٍ يدلُّ على الحقِّ والخير، كما في قوله تعالى: ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٠﴾ [الأحقاف: 30]؛ بخلاف الآية الثّانية؛ فقد جاءت في شأن الّذين كفروا، وظلموا، وأمرهم يختلف عن الّذين ورد ذكرهم في الآية الأولى؛ لوجود فرقٍ بين من كفر بعد إيمان، ومن كفر، ولم يتقدَّم منه إيمان؛ فحال من كفر بعد إيمان أشنع حالًا من الكافر ابتداءً؛ لذلك ناسب في الآية الأولى نفي الهداية لأيِّ سبيل، بخلاف الّذين كفروا ابتداءً؛ فنفى هدايتهم لأيِّ طريق، والسَّبيل أعمُّ من الطَّريق.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحُفّاظ: (سبل).
(2) الرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحُفّاظ: (طرق).
(3) البقاعي، دلالة البرهان القويم: 4/1373.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»